

وإذا كان الأمر كذلك في نطاق الأدب الواحد، فلا شك أن الحكم يزداد صعوبة، وقد يصل إلى درجة الاستحالة، عندما نخرج عن هذا النطاق إلى نطاق الأدبين المختلفين لغة مثل العربي والإنجليزي أو نطاق الآداب المتباعدة.

وفي مثل هذه الأحوال يبقى الاعتراف سيد الأدلة. ومن حسن الحظ أن الأمر في النقد يختلف عنه في الشعر. فقلما يعترف شاعر بالأخذ من شاعر آخر، أو الاعتماد عليه أو التأثير به، إلا إذا كان راويته أو تلميذه أو أحد أعضاء مدرسته الشعرية، مثل مدرسة عبيد الشعر التي ضمت أوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، وابنه كعبا، والحطيئة، وجميل بثينة، وكثير عزة. وقد كان اتهام عبد الرحمن شكري لإبراهيم عبد القادر المازني بالأخذ من الشعر الإنجليزي وكبرياء الثاني التي منعت من الاعتراف، من أسباب القطيعة بين الصديقين ونقد كل منهما الآخر. سئل العقاد «ما حقيقة الخلاف بين شكري وalmazني؟» فقال: «الخلاف الذي وقع بينهما سببه أن شكري كان ينه المازني إلى مقتبسات شعرية كان يترجمها ولا يشير إليها. فكان شكري يقول له: «يا أبو خليل، دى بتتخسب علينا كلنا، الناس يقولوا ايه»^(١). وهذه بطبيعة الحال تعز على المازني. ومع ذلك فلم يشر المازني إلى مصادر القصائد المترجمة، الأمر الذي حدا بشكري أن يكتب صفحة، يختتم بها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه المطبوع عام ١٩١٦، وفيها يعدد للمازني ما نقل من شعر ونثر عن الأدباء الغربيين.... وكان جواب المازني أن شرع في نقد شكري في إحدى الجرائد اليومية ولعلها جريدة النظام، ورد شكري على المازني في الجريدة نفسها، ولم يصف الجو بين الصديقين». وبذلك تفرقت ما اصطالحنا على تسميته بمدرسة الديوان ولم نحظ من المؤلف الذي وعدوا به «الديوان» إلا بجزئين يتيمين من العشرة أجزاء التي كانوا قد أزمعوا تأليفها.

أما الناقد فلا يجد هذا الشعور بهذا الوضوح فهو لا يتخرج من الاعتراف بالأخذ، في كثير من الأحيان، لأن الأخذ هنا علامة الرغبة في التثقف، والإكثار منه أية الاطلاع الواسع، والقدرة على توظيف المعرفة في النقد.

وإذا كان الأمر كذلك في إطار النقد الواحد، فإنه في إطار تنوع النقد عبر لغتين، أكثر وأبعد عن كل حرج. ولذلك لا نعجب حين يذكر ناقد من أكبر النقاد الرومانسيين العرب أسماء النقاد الأجانب الذين أخذ عنهم في صراحة وتوسع دون أدنى محاولة للتستر. فقد سأل محرر مجلة «المجلة»^(٢) القاهرة، عباس محمود العقاد في لقاء بينها: «هل لكم رواد محدودون في النقد

(٢، ١) مجلة المجلة - العدد ٦٣ - ص ٢٨.